Issue 4265 Tuesday 31/7/2012
الزمان – السنة الخامسة عشرة – العدد 4265 الثلاثاء 11 من رمضان 1433 هـ 31 من تموز (يوليو) 2012م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/15. UK

تداعيات سقوط نظام الأسد

جورج فريدمان
ترجمة ـ سناء عبدالله

لقد دخلنا في مرحلة تحقيق الأهداف النهائية في سوريا. غير أن هذا لا يعني بأننا وصلنا الى نهاية الأزمة بأي شكل من الأشكال، لكنه يعني بأن الشروط اللازمة لسقوط نظام الرئيس السوري بشار الأسد قد توفرت. كنا قد قلنا في السابق إنه طالما بقيت المؤسستان العسكرية والأمنية سليمة وفاعلة، فإن بوسع النظام أن يقاوم لفترة أطول. ورغم أن هاتين المؤسستين تواصلان تأدية مهامها، فان أيا منهما لا يبدو سليما كما كان عليه الحال من قبل، حيث باتت سيطرتهما على المناطق الرئيسية مثل دمشق وحلب موضع شك، في وقت باتت فيه قدرة الاعتماد على العاملين فيهما غير مؤكدة في ضوء الانشقاقات التي شهدتها المؤسستان. كنا قد اعتقدنا في السابق بأن هناك فرصا معقولة لنجاة نظام الأسد بشكل كامل من هذه الأزمة. غير أن هذه القناعة لم تعد قائمة حاليا. فمن وجهة نظرنا، وبعد انشقاق الطيار السوري بتاريخ 21 حزيران الماضي وما اعقبه من انشقاق أفراد في أسرة طلاس، بدأت عناصر مؤثرة في النظام تعيد حساباتها بشأن فرص النظام بالبقاء وراحت تحسب لمصلحتها الشخصية.

لم يتفكك النظام ولكنه بدأ يتهاوى.

ان التخمينات الدائرة بشأن مكان تواجد الأسد والقتال العنيف الدائر في دمشق هي بالواقع جزء من مشاكل النظام. كما أن الشائعات، ان كانت صادقة أم عكس ذلك، من شأنها أن تخلق أجواء انعدام اليقين وهو الأمر الذي يصعب على النظام تحمله في الوقت الحاضر. وتبقى النتائج غير معروفة في الوقت الحاضر. فمن جهة، هناك امكانية بأن يظهر نظام جديد يستطيع فرض سيطرته على البلاد. غير أن سوريا تواجه احتمال الانهيار والسقوط في حالة شبيهة بحالة لبنان حيث تتجزأ الى اقاليم تحكمها فصائل مختلفة دون وجود حكومة مركزية فاعلة.

الاستراتيجية الروسية والصينية

من جانبها، تبدو الصورة الجيوسياسية أكثر وضوحا من صورة الأوضاع الداخلية في سوريا. ومهما سيحدث، فليس من المرجح أن يتمكن الأسد من العودة الى ممارسة سلطته التي لم ينازعه فيها أحد. لقد عارضت الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبقية البلدان الأوروبية نظامه، بينما حظي النظام بدعم من روسيا والصين وايران، ولكل أسبابه الخاصة. كما عارضت روسيا نداءات الغرب بالتدخل في سوريا، حيث استندت تلك المعارضة على مخاوف تتعلق بحقوق الانسان، والخوف من أن يكون التدخل المقترح مجرد ذريعة لبسط النفوذ الغربي في المنطقة واستخدامه ضد روسيا في وقت لاحق. الصينيون، من جانبهم، قدموا الدعم للسوريين، لأسباب يتعلق بعض منها بالعوامل التي أوضحناها أعلاه. ولقد حاولت كل من روسيا والصين تجنب شرعنة الضغوط الغربية استنادا الى اعتبارات تتصل بدواعي حقوق الانسان، وهي اعتبارات واجهها هذان البلدان في وقت سابق. يضاف الى ذلك أن كلا من روسيا والصين أرادتا دفع الولايات المتحدة الى صب جل اهتمامها على الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط بشكل خاص وليس على الأوضاع في بلديهما. ولم يمانع هذان البلدان من أن تتورط الولايات المتحدة بتدخل عسكري، غير أن أمريكا لم تحقق لهما هذه الأمنية. بيد أن اللعبة الروسية والصينية كانت أكثر دهاءً مما تقدم. لقد سلط هذان البلدان الضوء على ايران. وكما أسلفنا، فاذا ما تمكن نظام الاسد من البقاء على الحياة وأصبح معزولا عن الغرب، سيصبح هذا النظام معتمدا بشكل رئيسي على ايران، بوصفه راعيا رئيسيا له. وكانت ايران قد قامت بتزويد سوريا بالمدربين، والقوات الخاصة، والمعدات، والأموال، للحفاظ على النظام. وهكذا شكلت تطورات الأحداث في سوريا فرصة كبيرة لايران. فالأخيرة تحتل موقعا مؤثرا في العراق، فهي لا تسيطر عليه تماما لكنها تمارس نفوذا قويا فيه. وفي حالة تمكن نظام الأسد من البقاء وحصوله على الدعم الايراني كمصدر لبقائه حياً، سوف تصبح حينها سوريا أكثر اعتمادا على ايران من العراق. ان ذلك من شأنه أن يعزز الموقف الايراني في العراق، ولكنه سيساهم في تحقيق أمر أهم من ذلك يتمثل في خلق منطقة نفوذ ايرانية تمتد من غرب أفغانستان الى لبنان، حيث يعد حزب الله حليفا لايران. لقد أدرك الروس والصينيون بوضوح أنه في حالة وقوع الى ذلك أن كلا من روسيا والصين ستقتضي المصالح القومية للولايات المتحدة العمل على تقويض منطقة النفوذ الايرانية تلك، وسيستدعي ذلك منها تكريس موارد هائلة لتحقيق هدفها. وكانت كل من روسيا والصين قد استفادتا كثيرا من حقبة ما بعد الحادي عشر من أيلول، عندما كانت الولايات المتحدة مهووسة بالعالم الاسلامي ولم يكن لديها الرغبة أو الموارد الكافية لتكريسها لروسيا والصين. وفي وقت تلوح فيه في الأفق بوادر نهاية للحرب في افغانستان، يبدو أن فترة الاسترخاء هذه قد أشرفت على نهايتها. لقد كانت عملية تجيير الهيمنة الايرانية على المنطقة كفيلة بجلب انتباه الولايات المتحدة، وهي استراتيجية غير مكلفة وذات مردودات عالية.

في هذا السياق، وفرت الصين بشكل رئيسي الغطاء السياسي لتلك الاستراتيجية، حيث منحت الروس فرصة عدم الاضطرار الى العمل دبلوماسيا بشكل انفرادي. ويذكر أن هذين البلدين لم يخصصا أية موارد مالية تذكر للنزاع في سوريا لكنهما واصلا معارضة فرض العقوبات الاقتصادية على ايران ووفرا فرصا تجارية لايران. أما الروس فقد قدموا دعما ماديا وسياسيا لنظام الأسد. ويبدو أن الروس بدأوا منذ مدة يتحسبون لوصول النظام السوري الى نهايته. وفي الوقت الذي واصلت فيه روسيا امداد السوريين بالعتاد والمعدات الأخرى، فقد تراجعت عن تسليم طائرات الهليكوبتر الى سوريا. كما باءت "بالفشل" العديد من المحاولات لتسليم طائرات الهليكوبتر تلك عندما سحبت الجهة البريطانية المسؤولة عن تأمين سفينة شحن الطائرات تغطيتها للتأمين. وكان ذلك هو السبب الذي دفع بالروس الى التخلي عن تسليم الطائرات، لكنه كان من الواضح أيضا بأن الروس كان بوسعهم أن يوفروا من جانبهم ترتيبات التأمين التجاري على السفينة. لكنهم تراجعوا عن دعم الأسد، اذ تشير مصادرهم الاستخبارية بأن هناك مشكلة في دمشق. لقد وصلت الأوضاع بالروس خلال الأيام القليلة الماضية الى الحد الذي دفعوا فيه سفيرهم في باريس الى القول بأن الوقت قد حان للأسد للتخلي عن السلطة، وبعدها، وبطبيعة الحال، نفى الأخير أنه أدلى بمثل هكذا تصريح.

صفعة استراتيجية إلى إيران

في الوقت الذي سحبت فيه روسيا دعمها، فقد بدت ايران في الوقت الحاضر مكشوفة الجناح الى حد بعيد. ولقد ساد اعتقاد لفترة طويلة بأن صعود ايران في المنطقة أمر حتمي، ولا سيما بروزها كقوة مهيمنة في منطقة الجزيرة العربية. في هذا السياق، يعد اضمحلال دور الأسد بمثابة صفعة استراتيجية للايرانيين من جانبين. أولا، من الواضح أن منطقة النفوذ التي كانوا في صدد تكوينها لن تتحقق. ثانيا، سوف تتحول ايران بسرعة كبيرة من قوة صاعدة الى قوة تدافع عن نفسها. من جانب آخر، يعد العراق المكان الذي سيكون فيه هذا التراجع أكثر وضوحا. ويشكل العراق واحدا من المصالح القومية الرئيسية في المنطقة بالنسبة لايران. وفي ضوء الحرب التي خاضتها ايران في عقد الثمانينات ضد العراق لمدة ثمان سنوات، يعلق الايرانيون أهمية كبرى على مصالحهم في هذا البلد، والتي تشمل ضمان بقاء العراق محايدا، على الأقل، بل يفضلون أن يكون مؤيدا لايران. وفيما كانت ايران تتجه نحو الصعود، شعر السياسيون العراقيون بأن عليهم أن يجاملوا ايران. لكن، وفي ضوء نفس الطريقة التي أعاد فيها الجنرالات السوريون حساباتهم، يتعين على السياسيين العراقيين أن يفعلوا الأمر نفسه. ومع العقوبات الاقتصادية المفروضة على ايران، وبغض النظر عن فاعليتها، ومع تفكك قوة الموقف الايراني حيال سوريا، فان الوضع النفسي في العراق قد يكون متغيرا.

ويتطابق هذا الوضع تماما مع الرغبة في تعزيز المصالح التركية في العراق. ففي الأيام القليلة الماضية، أعلنت تركيا عن وضع الخطط اللازمة لمد خط أنابيب في العراق يصل حقول النفط في الجنوب بشمال البلاد، في وقت تزداد فيه كثافة النشاط الاقتصادي التركي في العراق. وتعد تركيا الدولة الوحيدة في المنطقة القادرة على تحدي القدرات العسكرية الايرانية. وتستخدم تركيا قوتها في التعامل مع الأكراد في العراق. لكن في حالة تركيا أن تعيد النظر في سياساتها تجاه البلدان الواقعة في محيطها. وفي حالة العراق، فان لتركيا مصلحة في القضاء على مقاتلي حزب العمال الكردستاني الذين اتخذوا من المناطق المجاورة ملجأ لهم، والدفاع عن النفط وغيرها من المصالح الاقتصادية. وتشهد الاستراتيجية التركية تحولا اذ انتقلت من حالة تجنب جميع أنواع المواجهات الى حالة تجنب تقديم التزامات عسكرية كبيرة مع مراعاة مصالحها السياسية. وفي نهاية المطاف، فان هذه السياسة تعني بأن تركيا سوف تمضي باتجاه تحقيق توازن مع ايران قدر تعلق الأمر بمصالحها في العراق. ان من شأن هذا التوازن تخفيف العبء الواقع على كاهل الولايات المتحدة بشأن احتواء ايران. وفيما لا تزال الولايات المتحدة تعتبر منطقة النفوذ الايرانية أكبر مصدر يهدد المصالح الأمريكية والاقليمية، أكثر مما يشكله البرنامج النووي الايراني، فان سقوط الأسد يحل مشكلة كبيرة، كما أنه يضاعف الشعور بالضعف لدى ايران. على صعيد موازي، وفي ضوء الاعتقاد السائد بأن الايرانيين ليسوا قريبين من تحقيق هدفهم في الحصول على سلاح نووي قادر على الوصول الى أهدافه، فمن المرجح أن يصل الايرانيون الى مرحلة يشعرون فيها بأن عليهم التخفيف من حدة مواقفهم السياسية. في هذا السياق، ستكون اسرائيل من بين الخاسرين الرئيسيين، بعد أن كانت قد توصلت الى تفاهم واضح مع نظام الأسد، اذ رأت في حينه أنه في حال تمكن نظام الأسد من كبح جماح حزب الله، فان اسرائيل لم تكن لتمانع من هيمنة سوريا على لبنان. بيد أن هذا التفاهم زال بعد أن قامت الولايات المتحدة بالقضاء على النفوذ السوري في لبنان سنة 2006. وكان الاسرائيليون قد فضلوا الاسد على السنة، الى أن أدركوا بأن الايرانيين سيهيمنون على سوريا. الى ذلك، فان احتمال عدم وصول نظام اسلامي الى دمشق، أو الدخول في حالة انعدام الاستقرار على الطريقة اللبنانية، وهو الأمر المرجح، لا يمكن أن يرضي الاسرائيليين. ولا يزال الاسرائيليون يواجهون تهديدات جهادية في منطقة سيناء. كما ان مهامها، اما عسكريا أو سياسيا. ولا ترغب تركيا بالتورط عسكريا في العراق، لكنها ترغب بامتلاك نفوذ سياسي يكفل لها الحفاظ على مصالحها. وهكذا، فبينما تتراجع قدرات ايران، فان للأتراك مصلحة، ان لم يكن في احتلال المكانة الايرانية، فان مصلحتهم تكمن في استكمال الدور الايراني. لقد بات الضغط على ايران في الوقت الحالي شديدا، وسيكون من المهم رؤية التداعيات السياسية لمثل هكذا ضغط. ولقد كان هناك اجماع على الاستراتيجية المتبعة حيال سوريا، ولكن مع فشل هذه الاستراتيجية، فأن الاجماع يتفكك. وسيكون لهذا الأمر تداعيات في داخل ايران، وقد تكون هناك اجراءات تتجاوز مسألة العقوبات الاقتصادية، وسيكون من الصعب على الحكومات أن تتراجع في سياساتها.

تداعيات أخرى

من وجهة النظر الأمريكية، فان تراجع نفوذ نظام الأسد سيمهد الطريق أمام تحقيق فرصتين. أولا، يبدو أن السياسية الأمريكية التي تقضي بعدم التدخل عسكريا بصورة مباشرة مع تقديم الدعم السياسي المتواصل، وبدرجة أقل، ممارسة الضغوط الاقتصادية، قد حققت نجاحا في الحالة السورية. وعلى نحو أدق، حتى ان لم تكن هذه السياسة فاعلة، فإنها ستبدو كذلك، الأمر الذي سيعزز قدرة الولايات المتحدة في التأثير على البلدان الأخرى دون ضرورة التدخل المباشر. ثانيا، من شأن الأوضاع الراهنة أن تفتح الباب على مصراعيه على تحقيق توازن حقيقي للقوى في المنطقة مما لن يتطلب معه تدخل أمريكي دائم. ان واحدا من تداعيات هذه الأحداث في سوريا هو أن على تركيا أن تعيد النظر في سياساتها تجاه البلدان الواقعة في محيطها. فكرة مواجهة اسرائيل لمشاكل مماثلة في سوريا، حيث تكون الجليل هي الجبهة الأخرى من الحدود وليس النجف، لا بد أن تصيب الاسرائيليين بالهلع.

غير أن أكبر الخاسرين اطلاقا هم روسيا والصين. فروسيا، مثل ايران، عانت الكثير من الاخفاقات في سياستها الخارجية الأمر الذي سيكون له تداعيات نفسية. لقد تسببت الأوضاع في سوريا في وقف قوة الاندفاع التي كانت روسيا قد سعت في بنائها. ولكن الأهم من هذا، فقد علق الروس والصينيون الآمال على أن تواصل الولايات المتحدة تسليطها ضوءا ثانويا على مصالحهما فيما تضع كل اهتمامها على منطقة الشرق الأوسط. ان زوال نفوذ نظام الأسد وما سيترتب عن ذلك من دينامية في المنطقة سيزيد من فرص فك ارتباط الولايات المتحدة عن المنطقة. ولن تكون هذه هي النتيجة التي يرغب برؤيتها الروس والصينيون، لكن في نهاية المطاف، فان هاتين الدولتين لم تمتلكان القدرة على تحقيق النتائج التي أرادوها في سوريا. وتكمن استراتيجية القوة المهيمنة في تشجيع حصول توازن للقوى يكون قادرا على احتواء الأخطاء دون الحاجة الى التدخل بشكل مباشر. لقد كانت هذه بالحقيقة الاستراتيجية التي وضعها البريطانيون، ولكن الولايات المتحدة لم تتمكن من تنفيذ هذه الاستراتيجية بشكل جيد. في هذا السياق، تشهد الاستراتيجية الأمريكية في الوقت الحاضر حالة نضوج وذلك بعد الحروب الجهادية التي شهدتها المنطقة، مما يسمح بانطلاق دينامية ذاتية في المنطقة، تكون فيها فكرة التدخل المباشر خيارا أخيرا. ويبدو أن الأحداث في سوريا تدور ببساطة حول قدرة نظام الأسد على البقاء. غير أن هذه الأحداث تكتسب أهمية أكبر قدر تعلق الأمر بتحجيم امكانيات القوة الايرانية، مما يخلق توازنا اقليميا للقوى يحرر الولايات المتحدة من التزاماتها ليتيح لها فرصة التركيز على القضايا العالمية، بما في ذلك روسيا والصين.

دورية ستراتفور الاستراتيجية

> يشكل العراق واحدا من المصالح القومية الرئيسية في المنطقة بالنسبة لايران. وفي ضوء الحرب التي خاضتها ايران في عقد الثمانينات ضد العراق لمدة ثمان سنوات، يعلق الايرانيون أهمية كبرى على مصالحهم في هذا البلد، والتي تشمل ضمان بقاء العراق محايدا، على الأقل، بل يفضلون أن يكون مؤيدا لايران. وفيما كانت ايران تتجه نحو الصعود، شعر السياسيون العراقيون بأن عليهم أن يجاملوا ايران. لكن، وفي ضوء نفس الطريقة التي أعاد فيها الجنرالات السوريون حساباتهم، يتعين على السياسيين العراقيين أن يفعلوا الأمر نفسه. ومع العقوبات الاقتصادية المفروضة على ايران، وبغض النظر عن فاعليتها، ومع تفكك قوة الموقف الايراني حيال سوريا، فان الوضع النفسي في العراق قد يكون متغيرا.

من السياسي إلى الاجتماعي

حسن حنفي
القاهرة

> الخروج من دهاليز السياسة هو التحول من السياسي إلى الاجتماعي، والانتقال من المماحكات القانونية إلى تحقيق مطالب الشعب وأهداف الثورة. هو الانتقال من الديمقراطية القانونية إلى الديمقراطية الشعبية المباشرة، الطريق الذي أخذه عبد الناصر بالرغم من ضعف المؤسسات الدستورية وخضوعها للحزب الواحد

والآن جاءت مرحلة إعادة البناء. فقد استردت الثورة روحها في الميدان بعد التحامه من جديد ضد أحكام رموز النظام وضد حل مجلس الشعب وضد إلغاء قانون العزل السياسي. تعود روح الثورة بعد أن عم الإحباط على مدى عام ونصف حتى بدأت قوى الثورة المضادة، ويستعد النظام السابق لالتهام ما تبقى من الثورة. الآن اطمأنت الثورة على نفسها بالرغم مما حدث لها. وتعلمت من التجربة السابقة ألا تثق بأحد إلا بنفسها، والا تعتمد على أحد إلا على نفسها.

والآن وبعد نجاح مرشح الثورة ضد مرشح الفلول واطمأنت الثورة على حاضرها، كيف تطمئن على مستقبلها؟ كيف يمكن بحكمة وروية أن تأخذ الثورة مسارا جديدا على وعي منها وليس مسارا تحدده لها الثورة المضادة باسم المرحلة الانتقالية أو خارطة الطريق أو التحول الديمقراطي والدخول في دهاليز الدستور أولا أم البرلمان أولا، استفتاء شعبي على تعديل دستوري، انتخابات فردية أم بالقائمة، صراع القوى والأحزاب السياسية على عدد الكراسي في البرلمان بمجلسيه، الشعب والشورى ونسيان أهداف الثورة، اللجنة التأسيسية لوضع الدستور وكيفية تمثيل القوى السياسية فيها، بالانتخاب من البرلمان أو بالتعيين من المجلس العسكري بالتشاور مع كافة القوى السياسية. وأُدخلت الثورة في دهاليز السياسة. وتصارعت القوى الثورية فيما بينها. ودخلت في مناقشات بيزنطية: دولة دينية أم دولة مدنية؟ والنظام السابق يسترد قواه ويستعد لانتخابات الإعادة بمرشح جندت الدولة كل ما تملك لتأييده. وجعل كل برنامجه الهجوم على مرشح الثورة، وتخويف الناس من مرشح الجماعة.

والآن، الخوف مرة ثانية أن يقع الرئيس الجديد في دهاليز السياسة، ودهاليز القوانين، ودهاليز المحاكم بالدخول في مناقشات بيزنطية أخرى حول اللاءات الأربعة التي أفرزها الميدان: إبطال حل مجلس الشعب وهل هو دستوري أم لا، الثلث أم الكل، وهل التوقيت عن حسن نية أو سوء نية، بين يوم وليلة أو قد يستغرق عدة سنوات، وهل قرار المحكمة الدستورية العليا بالحل أم فقط إبطال القانون الذي قام عليه، والحل بيد المجلس العسكري، وهل يمكن مراجعة قرار القضاء أم أنه واجب النفاذ طوعا أو كراهية؟ وكيف يمكن حل اللجنة التأسيسية لوضع الدستور وهي منتخبة من مجلس الشعب الذي يمثل إرادة الأمة ووضع لجنة معينة من المجلس العسكري مهما حدث من تشاور قبلها مع مختلف القوى السياسية في مصر؟ وكيف يمكن اختيار مجلس الأمن القومي من المجلس العسكري وحده دون استشارة باقي المؤسسات ومنها مجلس الشعب والحكومة؟ وكيف يوضع قانون بمنح حق الضبطية القضائية لقوات الشرطة العسكرية ويصبح من حقها إيقاف المدنيين؟ ومازال فقهاء السلطان يدافعون عن التعديل الدستوري الثاني حفاظا على الأمن والاستقرار في البلاد. ولما كان الرئيس الجديد بلا سلطات واضحة فإنه ينشغل بهذه المماحكات النظرية ولا يشعر به الناس. ويصاب الثوار بالإحباط من جديد. ينسى الرئيس الثوري الثورة فتنساه الثورة، وتندب حظها أنها لم تجد من يمثلها إلا مرشح الفلول أو مرشح الجماعة. وقد نجح كراهية في الفلول. وأخذ مرشح الفلول هذا القدر من ملايين المصوتين بفارق مليون واحد أو أقل كراهية في الجماعة. والمبطلون والمقاطعون لم يتجاوزوا المليون. فمازال الطريق الثالث سلبيا وفي البداية. وقد يكفر الثوار بالثورة بعد أن استبعدوا منها مرتين. وقد يزداد الحنين إلى النظام السابق. ويستعد أنصاره هذه المرة استعدادا أكثر للانقضاض على الرئاسة، والمطالبة بانتخابات رئاسية جديدة يضمنون فيها الفوز.

فما العمل؟ الطريق للخروج من دهاليز السياسة هو التحول من السياسي إلى الاجتماعي، والانتقال من المماحكات القانونية إلى تحقيق مطالب الشعب وأهداف الثورة. هو الانتقال من الديمقراطية القانونية إلى الديمقراطية الشعبية المباشرة، الطريق الذي أخذه عبد الناصر بالرغم من ضعف المؤسسات الدستورية وخضوعها للحزب الواحد، الاتحاد الاشتراكي، صاحب الأغلبية المطلقة في كل الانتخابات البرلمانية والاتحادات والنقابات. تحقيق مصالح الجماهير وأهداف الثورة لا تحتاج إلى كل هذه المماحكات القانونية الصورية التي يختلف عليها فقهاء القانون. إنما تحتاج إلى قرارات جمهورية تمس حياة الناس حتى يشعرون بالثورة في حياتهم اليومية: رفع الحد الأدنى ووضع الحد الأعلى للأجور، رفع المعاشات، وضع خطط عاجلة للتنمية لإيجاد فرص عمل للعاطلين، وضع خطة قومية لسكان المقابر والعشوائيات، الإسكان الشعبي أو مدن العمال كما حدث في الستينيات، وضع خطط عاجلة لحل أزمة المواصلات بإقامة الكباري العلوية أو سلسلة من الأنفاق السفلية تمنع اختناقات المرور، ووضع مظلة وطنية للعلاج الشعبي كحق مكتسب لغير القادرين، ووضع خطط عاجلة لمحو الأمية وإقامة المدارس في الأحياء الشعبية واستخدام المساجد والكنائس إذا ضاق الأمر، ضبط الأمن وزرع الاستقرار في الطريق العام حتى يشعر الناس بالأمان، زيادة الإنتاج والعودة إلى التخطيط من أجل تنمية مستدامة في خطط خمسية يقودها القطاعان العام والخاص. بهذه الطريقة يظهر الإسلام الاجتماعي وليس الإسلام الصوري القانوني في الولاية والخلافة وتطبيق الشريعة والحدود والحلال والحرام والغطاء والمنع والستر الذي يصل إلى حد القهر. وتستعيد الثورة في تاريخها الطويل منذ يوليو 1952 حتى يناير 2011 أساسها النظري الشعبي: الإسلام والثورة. فلا الثورة ضد الإسلام كما حدث منذ أزمة مارس 1954 ولا الإسلام ضد الثورة كما يُروج ضد الجماعة لتشويه صورتها وإدخال البلاد في صراعات مفتعلة بين الديني والعلماني، بين السلفي والحدثي، بين المحافظ والتقدمي.

وإذا كان الرئيس الجديد بلا سلطات التي مازالت في يد المجلس العسكري جامعا بين السلطتين التشريعية والتنفيذية فإنه يستطيع أن يسترد كل السلطات بالعودة إلى الشعب. فالشعب مصدر السلطات، إلحاقا بشعارنا الوطني في ثورة 1919 "الحق فوق القوة، والأمة فوق الحكومة". المجلس الرئاسي المتعدد الاتجاهات بين الإسلاميين والليبراليين والاشتراكيين والقوميين والماركسيين، والحكومة الائتلافية التي تمثل كل القوى السياسية، واسترداد أموال مصر المهربة إلى الخارج والتي مازالت تهرب حتى الآن من أجل تمويل خطط التنمية الشعبية.

ولا يعني ذلك أن الطريق سهلا. فمازالت التحديات أمام الرئيس الثوري الجديد قائمة. المجلس العسكري ومن ورائه الجيش الذي ظل أثيرا بالحكم على مدى ستين عاما. ولأول مرة يتعامل مع رئيس جمهورية مدني من حقه تعيين وزير الدفاع. وقد كانت تركيا منذ الثورة الكمالية تحت إمرة العسكريين، هم الذين يعينون رؤساء الوزراء والوزارات والذين بيدهم السلطة الحقيقية. وبعد تسعين عاما عادت تركيا إلى الحكم المدني وأصبح العسكريون تحت إمرتهم. أما جهاز الدولة الذي مازال مع النظام السابق خاصة بأجهزته الأمنية والتنفيذية خاصة وزارة الداخلية فإنها في حاجة إلى وقت حتى تتعود على أنها جزء من الدولة وأن مهمتها المحافظة على الأمن في البلاد وليس أمن النظام. يحتاج الرئيس الجديد إلى وقت حتى تتحول الدولة الأمنية إلى دولة وطنية، ودولة الفرد إلى دولة الشعب، ودولة النظام إلى دولة الثورة. الحاضر يحتاج إلى وقت كي يتحول إلى ماضي. والثورة تحتاج إلى وقت كي تصبح مسار المستقبل. ما لا ينسى هو دم الشهداء بصرف النظر عن التحول من السياسي إلى الاجتماعي. فالشهداء هم وقود الثورة، وما يجب هو إرجاع الرئيس المخلوع إلى سجن طرة بدلا من التمارض المستمر كي ينتقل إلى أفخم الأجنحة وربما استعدادا لتهريبه إلى الخارج. التخلص من القديم هو شرط بناء الجديد. وما قبل الثورة إن لم يتم التخلص منه فإنه يتحول إلى ثورة مضادة تلتهم الثورة، ولكن ليس ما يتولد عنها من ثوار قادمين.

أولمبياد لندن ورقم 444

أحمد ابراهيم
الامارات العربية المتحدة

هل ترى بيننا من لم يقرأ لم يسمع ولا يعرف عن مسرحية رقم (444) هو ذاته الذي كان قد استثمره الايرانيون يوما ليسرقوا به أضواء العالم في الثمانينيات باحتجاز رهائن السفارة الأمريكية في طهران لمدة 444 يوما.. دارت به طاحونة الفلك الدوار اليوم دون طحنه، فاعادته سالما: (444) الى الملعب العربي من لندن.

ألاحظتموه (444) اليوم في بريطانيا؟ وأنظار العالم كلها متجهة نحو الأستاد الأولمبي بستراتفورد شرقي لندن لافتتاح دورة الألعاب الصيفية (أولمبياد 2012)؟ وكان هذا الرقم الثلاثي السلس الأربعائي عريس الحفل (في نظري المتواضع)، سلسلته بثلاث أربعات 444، ولا مجاراته لأرقام أخرى ضخمة جديرة بالاهتمام، وانما لحاجة في قلب يعقوب سيعرفها أخوة يوسف بعد قليل.

الأرقام كانت بكثرة في المهرجان، كحضور زعماء (120) دولة وملوكها، رؤساؤها وزراؤها وحكوماتها، ومشاهدو الحفل اكثر من (مليار) شخص، والساعة (السابعة واثنتي عشرة دقيقة) التي قرع فيها جرس بيغ بين هي الأخرى رقم قياسي آخر، اذ تدق للمرة الأولى خارج قرعاته المعتادة عند كل ساعة صفر، منذ وفاة الملك جورج السادس والد الملكة اليزابيث الثانية.

وأرقام أخرى كرقم (12 ألف و877) كيلومترا مسيرة الشعلة الأولمبية التي امتدت ليوم الافتتاح برقم (السبعين) الى قصر هامبتون كورت قرب لندن، والملعب المكتظ برقم (ثمانين ألف مشاهد) ولا حتى رقم (عشرة آلاف و500 رياضيون ولاعبون) أو رقمي (302) ميدالية ذهبية و(17) يوم يتنافس فيها اللاعبون على تلك الميداليات، كل هذه الأرقام لم تشغلني على الاطلاق. بل ولم يشغلني حتى ذلك الرقم (الواحد) لذلك الرجل (الواحد) في العالم: الرئيس الأمريكي باراك اوباما الذي لم يحضر هذا الحفل، لانشغاله بتوقيعات حفل تقوية اسرائيل بتسليحها أكثر وأكثر في وجه الفلسطينيين العزّل، قد يذهب بعدها السنياتور الى تل أبيب مباشرة للمهرجان الأمريكي الاسرائيلي، فانتدبت عنه زوجته (ميشيل أوباما) المهرجان الرياضي العالمي بصفتها السيدة الأولى في العالم.

في الحقيقة لم تشغلني تلك الأرقام كلها ولا بعضها. وانْ ما أشغلني بصدق، هو ما أعلنته اللجنة المنظمة لدورة الألعاب الأولمبية في لندن، أن المشاركين الرياضيين العرب هذا العام، ذكورا واناثا (منها المرأة السعودية للمرة الأخرى) بلغ عددهم الإجمالي 444.

العرب اليوم برقم جميل ان استثمروه لغد جميل بحنكة. فيجعلوه امامهم لا خلفهم، هذا الرقم الأربعائي الثلاثي، لا يمثل 444 لاعبا ولاعبة في الميدان فحسب، وانما هم نجوم سكان العالم العربي برمّته، والذي قارب نصف مليار حسب الاحصائيات الأخيرة، الرقمُ لا بعدد لاعبيهم اليوم في لندن، ولا بعدد ذويهم وأبائهم المشاهدين من 22 دول عربية عبر التلفاز على موائدهم الرمضانية من الفطور والسحور، يتفاخرون بأبنائهم اللاعبين واللاعبات، وانما ايها اللاعبون وأنتم بالميدان، فليكن لكم أبناء يناديونكم غدا بالمثل، ويتضاعف كل عام.

عندما سمعت ان الفعالية الأولى في هذا المهرجان الدولي العملاق كانت (السباحة)، تذكرت حديثا للرسول صلى الله عليه وسلم كان قد أطلقه قبل 1400 عام من بيئة صحراوية بدوية قاحلة (علّموا أولادكم السباحة وركوب الخيل وحمل السلاح).. فلنخلف هذا الحديث عن العدسات، أخشى عليها من سوء الترجمة سوء الفهم وسوء الاستخدام، خاصة لو كان المترجم مهاجرا ماجورا سلسا بين العين والباء من العربية الى العبرية، فانه قد يرفع كلمة (حمل السلاح) من آخر الحديث الى أول السطر، ظنّا منه انه الكلاشنكوف والحزام الناسف.

نعم أوصانا الرسول بحمل السلاح، لكنه سلاح العلم، بما عظّمه الله العلماء في كتابه الحكيم (انما يخشى الله من عباده العلماء) احتراما للعالم كائنا من كان هو وما كان علمه، لافرق ان كان عالما دينيا او رياضيا وطبيا واقتصاديا و فيزيائيا وكيميائيا حتى وان كان سندبادا بحريا، فالاسلام يحترم العلم، ويحرض على طلبه من مكة الى الصين.

(أبنائنا اللاعبون 444) انتم في الميدان سفراء نصف مليار في 22 دول عربية، لستم بعباقرة اذا كان اعتقادكم بالعبقرية أنها قاعدة تنمو فقط بين أثرياء دول المتحضرة، ولستم بعباقرة اذا لم تُنمّوا وتضاعفوا رقمكم 444 الى 888 العام المقبل، رقما ينمو ويتضاعف كل عام، ومع كل خطة تنموية مقبلة ومتبادلة بين 22 دول عربية، ولستم بعباقرة اذا لم تُقنعوا منظمي أولمبياد 2012 في لندن، ان بين عواصم الدول العربية هناك عواصمُ مؤهلة بل وتنافس لندن ونيويورك وباريس لاستضافة هكذا مهرجانات ان أتيحت لها المجال دون معاكسات ودون نظرة دونية.

ولستم بعباقرة يا أبنائي واخواني ان لم تُقنعوا اللون الأبيض، ان السماء الزرقاء تعرف ما يقوله الأبيض والأسمر، واننا لم نكذب بان (السباحة) التي اخترتموها "الصفحة الأولى" لأولمبيادكم عام 2012، كان قد وضعها بدويا من ظهر ناقته قبل 1400 سنة على الصفحة الأولى لمناهج أولادنا: (علّموا أولادكم السباحة)، وانه كان قد قال أيضا اثنان لا يشبعان، طالب علم وطالب مال، فاذا كانت اليونان والأسبان لم تنعشهما اليوريو مهما غذّيتموهما؟ والصين لم تشبع من تنقيب بحر الشمال نفطا وغازا؟ فمن حقنا أيضا أن لا نشبع من هذا الأولمبياد العالمي بأسواره اللندنية ان لم تدخل احدى عواصمنا المأهولة وما أكثرها المأهولات، ناهيك عن تلك التي في طريقها للتأهيل.

ومبروك للفائزين مقدما

> (أبنائنا اللاعبون 444) انتم في الميدان سفراء نصف مليار في 22 دول عربية، لستم بعباقرة اذا كان اعتقادكم بالعبقرية أنها قاعدة تنمو فقط بين أثرياء دول المتحضرة، ولستم بعباقرة اذا لم تُنمّوا وتضاعفوا رقمكم 444 الى 888 العام المقبل، رقما ينمو ويتضاعف كل عام، ومع كل خطة تنموية مقبلة ومتبادلة بين 22 دول عربيةولستم بعباقرة اذا لم تُقنعوا منظمي أولمبياد 2012 في لندن، ان بين عواصم الدول العربية هناك عواصمُ مؤهلة بل وتنافس لندن ونيويورك وباريس لاستضافة هكذا مهرجانات